

مجلة الشهاب • المجلد: 10، العدد: 01 (2024م) • ص ص 117 - 132
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

□

دقائق التمثيل البلاغي للحياة الدنيا في القرآن الكريم

The accuracy of rhetorical representation of the worldly life in the Holy Quran.

أم كلثوم حويشي *

مخبر الشعرية - جامعة باتنة1 (الجزائر)

Oumkeltoum.houichi@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2023/04/14	تاريخ القبول: 2024/01/20	تاريخ النشر: 2024/03/15



الملخص: تنفرد ألفاظ القرآن بخصائص عدة تكشف الدقة المتناهية في انتقائها وجودة سبكها وتناسقها وما تملكه من مقدرة على نقل المعاني، وتصوير الحقائق أبدع تصوير. وقد بلغ التمثيل في القرآن الكريم مستوى رفيعا لا يبارى بألفاظه الموجزة ودلالاته القوية، فكان يصور ويجسد المعاني بأدق تصوير وأبلغ تعبير.

ويهدف هذا المقال إلى بيان دقائق التمثيل البلاغي للحياة الدنيا في القرآن الكريم، من خلال التعريف بالتمثيل والتصوير وبيان الفرق بينهما. ليعرج المقال بعد ذلك على بيان دقة التصوير لحقيقة الحياة الدنيا وسرعة زوالها وفنائها، وكيف تنوعت صورها، وكيف كان لها بالغ الأثر في النفوس البشرية.

الكلمات المفتاحية: التمثيل؛ الدقة؛ التصوير؛ الدلالة؛ الحقيقة.

Abstract: The Qur’anic words are distinguished by many and varied characteristics that expose the ultimate accuracy in their selection and the quality of their composition and consistency, it also reveals its ability to convey meanings, and portray facts in the most creative way. The representation in the Holy Qur’an reached a high level that cannot be reached, through its brief words and strong connotations, so it embodied and depicted the meanings with the most accurate depiction and eloquent expression.

This article aims to show the accuracy of the rhetorical representation of worldly life in the Holy Qur’an by defining representation and imagery and explaining the difference between them. Then, the article deals with the discussion of the accuracy of depicting the reality of worldly life, its rapid demise and annihilation, how its images varied, and how it had a great impact on human souls.

Keywords: representation; accuracy; depiction; significance; truth.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

إن كلام الله المجيد أنفع ما تفنى فيه الأعمار وتبلى في سبيل تدبره وبيان كنهه الأبدان. وتستنير به عقول العباد كيف لا وقد خصه المولى بقوله تعالى: ﴿**ألم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ البقرة 1و2. وقارئ القرآن يدرك لا محالة إعجاز القرآن الكريم حين تخطى كل العقول بفصاحته، وبلاغته، ودقة بيانه، وبديع تصويره، وقوة معانيه التي بلغت غايات البلاغة والبيان.

إن الحرص على استكناه بديع النظم القرآني في نقل الحقائق والمعاني يتطلب الكثير من الدقة واحتكام العقل لتدبر آياته والسعي لاستنطاقها. وتهدف هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن ذاك التنوع في تصوير حقيقة الحياة الدنيا في القرآن الكريم، فقد حظيت الحياة الدنيا في القرآن الكريم بتصوير بديع لخص حقيقتها وكشف سرها وأبان سبل النجاة من التعلق بها والسعي إليها، فتنوعت صورها فتارة وصفت بأنها لعب ولهو منقض تأكيدا لسرعة انقضائها. ووصفت بأنها متاع الغرور وأنها زائلة. ومرة أخرى كان المال والبنون زينتها ومتاعها. وكل هذا التنوع في الوصف يطرح السؤال التالي: ما سر ذاك التنوع في التمثيل لحقيقة الحياة الدنيا؟ وما هي تلك التفاصيل الدقيقة التي خص بها كل تمثيل عن الآخر؟ وفي سبيل الإجابة عن هذه الإشكالية وجب اتباع المنهج الوصفي لأنه الأنسب للكشف عن خصائص التمثيل البلاغي للحياة الدنيا في القرآن الكريم. وقد استهل البحث بمقدمة يليها تعريف بالتمثيل والتصوير، لينتقل بعدها إلى بيان الفرق بين التمثيل والتشبيه. يليها ذكر لخصائص التمثيل في القرآن الكريم. ليركز البحث بعد ذلك على الحديث عن آليات التمثيل البياني في القرآن الكريم. وذيل البحث بخاتمة لخصت أهم نتائج المتوصل إليها.

2. مفهوم التمثيل

للمثل معاني لغوية مختلفة كالنظير والصفة والعبرة وما يجعل مثالا لغيره يحذا عليه[1]. أما مفهوم التمثيل عند علماء البلاغة قديما فهو مفهوم عام أطلق على كثير من الصور البيانية، كالتشبيه الاصطلاحي، والاستعارة، والمجاز، والكناية. فقد عدَه قدامة بن جعفر فرعا من ائتلاف اللفظ مع المعنى. ومثَل له بأمثلة تشمل كثيرا من الألوان البلاغية[2]. في حين تناوله أبو هلال العسكري تحت اسم المماثلة[3]. أما ابن رشيق القيرواني فجعله ضربا من الاستعارة. ومثَل له بأمثلة أكثرها من قبيل الكناية والتشبيه الاصطلاحي، فقال:"التمثيل والاستعارة من التشبيه إلا أنهما بغير آلته وعلى غير أسلوبه"[4]. وكأن التشبيه جامع لكل ألوان البيان، وهو عنصر فعال في كشف المعاني ونقل الحقائق. أما الرماني فأقر للتشبيه وجوها منها: "إخراج مالا تقع عليه الحاسة، ومنها إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به عادة، ومنها

[1] محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل بن منظور الافريقي، لسان العرب، ج4، 473.

[2] قدامة بن جعفر، نقد النثر، 58.

[3] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص353.

[4] ابن رشيق القيرواني، العمدة، ص187.

إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، ومنها إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة."[1]

وقد فصل الجرجاني القول في التشبيه في مواضع متفرقة من كتابه أسرار البلاغة، فسعى إلى التعريف بالتمثيل والتشبيه كما بين أنواع التشبيه المختلفة، فقال:" إن التشبيه الذي هو أولى بأن يسمى تمثيلا لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يصلح لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر، حتى أن التشبيه كلما كان أوغل في كونه محضا كانت الحاجة إلى الجملة أكثر."[2]. وكما جعل الجرجاني وجه الشبه أساسا في التفريق بين التشبيه الصريح وتشبيه التمثيل، فقال:" إنك بالتمثيل في حكم من يرى صورة واحدة إلا أنه يراها تارة في المرآة وتارة على ظاهر الأمر. وأما في التشبيه الصريح فإنك ترى صورتين على الحقيقة."[3]

أما الزمخشري، فأبان الحاجة إلى التمثيل في الكلام، فقال:" التمثيل إنما يصار له لكشف المعاني ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد. فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك. ويحدد الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" غاية التمثيل ودقة نقله للمعنى، فيقول:" الحكم والأمثال تصور المعاني وتصور الأشخاص، فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان. ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجربا مسلما عند السامع."[4]

وذكر محمود السيد شيخون أسرار التمثيل، وضرورته في الكلام، فقال:" يشتمل التمثيل على كثير من الأسرار، منها: قوة التأثير، وإبراز المعقول في صورة مجسمة، الإيجاز، والإيضاح، إصابة المعنى، رفع الأستار عن الحقائق، تقريب المراد للعقل وعرضه في صورة مشوقة"[5]. فمتى كان التمثيل حاضرا كان المعنى أكثر وضوحا ودقة وبيانا.

3. مفهوم التصوير

يدل التصوير في أصل معناه اللغوي على الهيئة والشكل والصفة، والصورة في كلام العرب حقيقة الشيء وهيئته وصفته[6]. وقد فرق أبو هلال العسكري بين الصورة والهيئة، فقال:" الصورة اسم يشمل جميع هيئات الشيء لا بعضها كما يطلق على ما ليس بهيئة، كقولنا صورة الأمر كذا. أما الهيئة فتقع في

[1] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص70.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص109.

[3] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص236.

[4] أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص488.

[5] محمود السيد شيخون، نظرات في التمثيل البلاغي، ص14.

[6] محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل بن منظور الافريقي، ج4، ص473.

البنية أي الشكل المادي"[1]. والتصوير في الكلام يبرز الحقائق ويجليها.

والتصوير في القرآن الكريم من الملامح البارزة فيه، فهو أداة لتقريب المعاني إلى الأذهان إما بتشخيصها أو تجسيدها أو نقلها في مشاهد تنبض بالحياة والحركة، فتكون ذات أثر بارز في النفس والعقل معا. وهذا ما وضحه سيد قطب بقوله:"إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث، والمشاهد والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل"[2].

وفي هذا الصدد يقول عبد العال:" التصوير ملمح أساسي في النص القرآني يتظافر في تحقيقه اللفظ برنينه الصوتي، والجملة بتراكيبها المتنوعة وبنغماتها الداخلية، والفاصلة بإيقاعها المتلائم مع النسق اللفظي، والسياق العام والمشهد الحي بتكريس التصوير فيه إلى التجسيد الحي حركة وتأثيرا."[3] ويشير سيد قطب في موضع آخر إلى أن التصوير يأخذ أشكالا عدة، فيقول:" إن التصوير في القرآن هو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالإيقاع، وكثيرا ما يشترك الوصف، الحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور، تتملاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان. وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء لا ألوان مجردة وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانيات. فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية أو مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة."[4]

ومن أبرز الخصائص الفنية في القصص القرآني التصوير. وهذا ما يؤكده سيد قطب بقوله:" إن التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها، فتستحيل القصة حادثا يقع ومشهدا يجري، لا قصة تروى ولا ترى حادثا قد مضى"[5].

ويتبين لنا جليا من قول سيد قطب حقيقة التصوير في بث الحياة والحركة فيما يعرضه من حقائق وما ينقله من معان ودوره في تقريب المعاني إلى الأذهان.

[1] أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص181.
[2] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص34.
[3] محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن، ص5.
[4] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص35.
[5] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص156.

4. بين التمثيل والتشبيه

إن الفصل بين التشبيه الاصطلاحي والتمثيل أمر شائك لا يتأتى إلا لمن نال من البلاغة والفصاحة نصيبا وافرا. وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني في معرض حديثه عن فائدة التمثيل وما يميزه عن التشبيه، فقال:" واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورتها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشب نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"[1]. فللتمثيل أثر بالغ في نقل الحقائق والمعاني بدقة لا تضاهى، وكان بالغ الأثر في النفس من التشبيه.

أما السكاكي فقد بين الفرق بين تشبيه التمثيل والتشبيه الغير تمثيلي حينما ركز على طرفي التشبيه، وذهب أبعد من ذلك حين جعل التشبيه المستوفي أركانه الأربعة لا قوة فيه. والتشبيه الذي يقوم على طرفين هو الأقوى[2]. أما محمود السيد فبين الفرق بين التمثيل والتشبيه معتمدا في ذلك على وجه الشبه، فقال:" التمثيل هو ما كان وجه الشبه دقيقا لا يدركه ولا يفطن إليه إلا أصحاب الأذواق السليمة الذين ارتقوا عن طبقة العامة. وهذا يتحقق فيما كان وجه الشبه فيه مفردا عقليا غير غريزي، وما كان وجه الشبه فيه مركبا عقليا، وما كان وجه الشبه فيه مركبا حسيا. والتشبيه ما كان وجه الشبه فيه واضحا بينا لا يحتاج إلى إعمال فكر وإلطاف روية، ويتحقق في: ما كان وجه الشبه فيه مفردا حسيا وما كان وجه الشبه فيه عقليا حقيقيا."[3] ووجه الشبه هو الفاصل المؤكد لنوع التشبيه.

5. خصائص التمثيل في القرآن

يتميز أسلوب التمثيل في القرآن الكريم بدقة التصوير، وبراعة التعبير والتراكيب. ويذكر محمود السيد شيخون في كتابه" نظرات في التمثيل البلاغي" بأن للتمثيل خصائص عدة، فقال:" من خصائص التمثيل في القرآن: تماسك الصور التمثيلية تماسكا شديدا بحيث لو حاولنا فصل أحد الأجزاء لانفرط عقد الصورة، وانتثرت معالم الجمال فيها. وأما الخاصية الثانية فتكمن في انتقاء ألفاظ التمثيل في القرآن، واختيارها اختيارا مناسبا للمعنى معطيا كل ما تطلبه المقام. كما أن عناصر التمثيل في القرآن الكريم مستمدة من الطبيعة"[4].

وقد تنوعت صور تمثيل الحياة الدنيا في القرآن الكريم وتباينت. وإن المتأمل لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ**

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص84

[2] محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص142.

[3] محمود السيد شيخون، نظرات في التمثيل البلاغي، ص11.

[4] محمود السيد شيخون، نظرات في التمثيل البلاغي، ص 19.

الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يونس24. يدرك بديع نظم صورة الحياة الدنيا. وهذا ما ذكره ابن القيم بقوله:" شبه سبحانه وتعالى الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه فيميل إليها ويهواها اغترارا منه بها. حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها سلبها بغتة أحوج ما كان إليها وحيل بينه وبينها، فشبهها بالأرض الذي ينزل الغيث عليها، فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر، فيغتر به ويظن أنه قادر عليها، مالك لها، فيأتمر أمر الله، فتدرك نباتها الآفة بغتة فتصبح كأن لم تكن قبل فيخيب ظنه. هكذا حال الدنيا والواثق بها سواء. وهذا من أبلغ التشبيه."[1]

ومن خصائص التشبيه القرآني أيضا ما ذكره بكري شيخ أمين بقوله:" من خصائص التشبيه القرآني مقدرته الفائقة في اختيار ألفاظه الدقيقة المصورة الموحية. وهذا ما نجده في كل تشبيه قرآني، فلقد آثر القرآن كلمة "بنيان" في قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾** الصف4. لما تثيره في النفس من معنى الالتحام والاتصال والاجتماع القوي، مما لا يثار في النفس عند كلمة "حائط" أو "جدار"[2]، فألفاظ القرآن موحية ومصورة للمعنى بدقة فائقة العناية.

6. آليات التمثيل البياني في القرآن الكريم

إن من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم ما تحمله الألفاظ القرآنية من دلالات، وهذا ما بينه الرافعي بقوله: "...ينتقي من الألفاظ أمسها رحما بالمعني، وأفصحها في الدلالة عليه، وأبلغها في التصوير، وأحسنها في النسق، وأبدعها سناء، وأكثرها غناء، وأصفها رونقا وماء."[3] وأشار في موضع آخر إلى متانة التركيب القرآني وعباراته، فقال: " وإنك لتحار إذا تأملت تركيب القرآن ونظم كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها، وتقعد بك العبارة إذا أنت حاولت أن تمضي في وصفه، حتى لا ترى في اللغة كلها أدل على غرضك، وأجمع لما في نفسك وأبين لهذه الحقيقة، غير كلمة الإعجاز...فترى اللفظ قارا في موضعه لأنه الأليق في النظم، ثم لأنه مع ذلك الأوسع في المعنى، ومع ذلك الأقوى في الدلالة، ومع ذلك الأبدع في وجوه البلاغة، ومع ذلك الأكثر مناسبة لمفردات الآية مما يتقدمه أو يترادف عليه"[4].

ومن خصائص التعبير القرآني الدقة في انتقاء الألفاظ وجودة سبكها فتأتي مناسبة للسياق ملائمة للمقام الذي وردت فيه، لتكتمل صورة المشهد المراد التمثيل له بكل تفاصيله الدقيقة. فاللفظة القرآنية بما تحمله من إيحاءات ودلالات تبعث الحركة والحياة في المعاني التي تصورها وتجسدها لتستقر في عقول المخاطبين قبل نفوسهم. وهذا ما أكده بكري شيخ أمين حين تحدث عن الاستعارة في القرآن

---

[1] محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، ص 186.

[2] شيخ أمين بكري، التعبير الفني في القرآن، ص193.

[3] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص247.

[4] مصطفى صادق الر افعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص247.

الكريم، فقال:" إن الاستعارة لون من ألوان التصوير في القرآن، وهي من الأدوات المفضلة لديه، ومن خلالها كان يعبر عن المعنى الذهني والحالة النفسية والحادث المحسوس، فهو يعمد إلى هذه الصورة التي رسمها فيعطيها ألوانها وظلالها ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة فالحوار، فإذا هي شاخصة تسعى."[1] فالألفاظ المستعارة ألفاظ قوية الدلالة تحمل الكثير من الإيحاءات التي تكشف عن سر انتقائها دون غيرها من الألفاظ. ومن الألفاظ الموحية التي صورت الحياة الدنيا في القرآن الكريم لفظة" **متاع**" في قوله تعالى: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾" آل عمران185. وقوله أيضا: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾ غافر39.

وكذلك لفظة "**غرتكم**" في قوله تعالى: ﴿**وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾ الجاثية 35. و"**غرتهم**" في قوله تعالى: ﴿**وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ الأنعام 70. و"الغر والغرور: الإطماع في أمر محبوب على نية عدم وقوعه أو إظهار الأمر المضر في صورة النافع، وهو هنا مستعار لظهور الشيء في مظهر محبوب وهو في العاقبة مكروه"[2] فاستعيرت لفظة "غرتهم" للدلالة على مدى انخداع كل من ظن أن لا حياة بعد الحياة الدنيا وأن نعيمها لن يزول.

لقد تعددت صور التمثيل في القرآن الكريم، فساهمت الألفاظ بدقة انتقائها وجودة سبكها وبديع نظمها في بيان حقائق كان من الصعب إبداؤها. ذلك أن التصوير من أنجع سبل الإبانة عن كل مجهول أو غامض. وللألفاظ مهمة تعبيرية تؤديها بأصواتها، وصيغتها، وما تحمله من معان ودلالات يحددها السياق والمقام الذي وردت فيه، فتنشأ الدلالة الصوتية للألفاظ من صفات الحروف ومخارجها، فتساهم في تكوين صورة أو مشهد يختزل الكثير من المعاني والدلالات من غير لبس ولا تمويه. لتكون اللفظة ملمحا بارزا من ملامح الإعجاز في القرآن الكريم. وألفاظ القرآن ليست كغيرها من كلام البشر فلها تأثير عظيم في النفس.

وهذا ما أكده الجاحظ حين بين دور اللفظ الفصيح المنتقى بدقة وأثره في النفس، فقال: "فإذا كان المعنى شريفا، واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع، بعيدا عن الاستكراه، ومنزها عن الاختلال، مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة"[3]. وأبان عمر السلامي ذلك في معرض حديثه عن خصائص اللفظة القرآنية، بقوله: "إن أولى خصائص اللفظة القرآنية الدقة في وضعها، واختيارها، وفي الوصف والمعنى والتناسق."[4] وقد فصل القول بكري شيخ أمين حين تحدث عن التشبيه في القرآن وقدرته الفائقة في نقل جميع دقائق الصورة المراد تمثيلها، فقال: "ولم يهدف القرآن في التشبيهات إلى التأثير فحسب، وإنما لجأ إليها للتصوير والتأثير معا، فإذا أراد القرآن أن يبين قدرة الله على أن يأتي بيوم

[1] شيخ أمين بكري، نظرات في التمثيل البلاغي، ص195.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 4، ص 206.

[3] أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ص87.

[4] عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن الكريم، ص72.

القيامة بأسرع مما يتصور المتصورون لجأ إلى أسرع ما يراه الرائي، فاتخذه مثلا يؤدي إلى الهدف المراد، فيقول: ﴿**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾".[1]

إن الدقة في الوضع من خصائص اللفظة القرآنية التي تنفرد بها. وهي ألا تحل لفظة مكان لفظة أخرى، فلكل لفظة سياق يخصها ويحدد دلالتها ويكشف عن معناها والقصد منها. ونلحظ الدقة في اختيار الألفاظ في تمثيل الحياة الدنيا ب لفظة "زهرة" التي وردت في قوله تعالى: ﴿**لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ طه131. فكانت لفظة "زهرة" أصدق وصفا لحقيقة الدنيا التي تخدع البشر بجمالها وحسنها وبهائها. ولكن سرعان ما يصير كل البهاء والحسن سرابا منقطعا كحال زهرة ذبلت وتلاشت وزال عنها ذاك البريق والرونق لتغدو أسوء حالا مما كانت عليه.

وقد فصل ابن عاشور القول في تفسيره للآية، فقال: "وقد نهى الله عن نظر الإعجاب لما فيه من حسن الحال في رفاهية العيش مع الكفر، فقد رضوا بالمتاع العاجل فليسوا ممن يعجب حالهم"[2]. وذكر في موضع آخر: " إن ما يبدو للناظر من حسن شارتهم مشوب ومبطن بفتنة في النفس وشقاء في العيش وعقاب عليه في الآخرة"[3]عاشور، فقد تعددت صور الحياة الدنيا في القرآن الكريم من تصوير لحالها وزينتها وسعي الناس لنيلها والفوز بها. وكيف يضمحل نعيمها ومتاعها بسرعة فائقة. ومثل لنضرتها وجمالها ب «الزهرة". فقد نهى الله عز وجل عن النظر إلى ما فيه حال المشركين من آثار الحياة الدنيا من حسن أحوالهم، ورغد عيشهم رغم كفرهم. كيف لا وقد ارتضوا المتاع الزائل المنقضي بدل النعيم السرمدي. ليكون حجة عليهم يوم القيامة.

وجاء في التحرير والتنوير لابن عاشور:" مد العينين يستعمل في إطالة النظر للتعجيب لا للإعجاب، وشبه ذلك بمد اليد لتناول شيء مشتهى...واستعير هنا إلى التحديق بالنظر والطموح به تشبيها له بمد اليد للمتناول، لأن المنهي عنه نظر الإعجاب مما هم فيه من حسن الحال في رفاهية عيشهم مع كفرهم. أي فإن ما أوتيته أعظم من ذلك فلو كانوا بمحل العناية لاتبعوا ما آتيناك ولكنهم رضوا بالمتاع العاجل فليسوا ممن يعجب حالهم[4].

وانتقاء لفظة "الزهرة" دون غيرها له دلالته القوية في التعبير عن حقيقة الحياة الدنيا: "الزهرة بفتح الزاي وسكون الهاء واحده الزهر وهو نور الشجر والنبات.. وتستعار للزينة المعجبة المبهتة. لأن منظر

[1] شيخ أمين بكري، التعبير الفني في القرآن، ص194.
[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص340.
[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص341.
[4] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 16، ص 340.

الزهرة يزين النبات ويعجب الناظر، فزهرة الحياة هي زينة الحياة، أي زينة أمور الحياة من اللباس والأنعام والجنان والنساء والبنين...."[1]. ولشدة تعلق الناس بالحياة وطلب لذاتها وشهواتها تراهم يطيلون النظر بمن كشفت لهم دنياهم عن زينتها راضين بالمتاع العاجل والفاني، فبدت أحوالهم بأنها قد استكملت جميع اللذات والشهوات وحيزت لهم الدنيا بزينتها. وقد نسوا بأن في ذلك كله ابتلاء لهم. وهذا ما نلمسه في قوله تعالى: ﴿**لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَى**﴾ طه131.

وما عند الله خير وأبقى من الحياة الدنيا ونعيمها:" وجملة ﴿**وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَى**﴾ تذييل لأن قوله تعالى ﴿ولا تمدن عينيك) يفيد أن ما يبدو للناظر من حسن شارتهم مشوب ومبطن بفتنة في النفس وشقاء في العيش وعقاب عليه في الآخرة... فذيل بأن الرزق الميسر من الله للمؤمنين خير من ذلك وأبقى. ومنفعة باقية في الآخرة لما يقارنه في الدنيا من الشكر فإضافة رزق ربك إضافة تشريف. وإلا فإن الرزق كله من الله، ولكن رزق الكافرين لما خالطه وحف به حال أصحابه من غضب الله عليهم ولما فيه من التبعة على أصحابه في الدنيا والأخرة لكفرانهم النعمة جعل كالمنكور انتسابه إلى الله. وجعل رزق الله هو السلم من ملابسة الكفران ومن تبعات ذلك.[2] وكأن الآية تضمنت تقيسا لحال هي أحسن وأفضل من حال أخرى، فشتان بين من اتبع هواه، ومن اختار رضوان الله وترك زينة الحياة الدنيا.

وبين الله عز وجل حال سادة المشركين وإعراضهم عن اتباع الهدى وسعيهم الدائم لنيل الدنيا والفوز بشهواتها. وكيف تمكن منهم الضلال والغفلة عن الحق فكان شأنهم الهلاك، فقال عز وجل: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ الكهف 28. وهذا ما بينه ابن عاشور في تفسيره، بقوله:" جعل سادة المشركين هممهم وعنايتهم بالأمور الظاهرة وأهملوا الاعتبار بالحقائق والمكارم، فاستكبروا عن مجالسة أهل الفضل والعقول الراجحة والقلوب النيرة"[3]، فظلموا أنفسهم أشد ظلم بابتعادهم عن الحق والرشاد والهدى واتبعوا زينة الحياة الدنيا، فكان مآلهم جهنم وبئس المصير.

إن دقة اختيار الألفاظ يعكس دقة ووضوح المعنى وبالغ أثره في النفس. وهذا ما نلمسه في قوله تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ الحديد 20. وصف الله الحياة الدنيا بأنها "لعب ولهو"، وقدم اللعب على اللهو في مواضع وأخره في مواضع أخرى. وقد فصل ابن عاشور القول في اللعب واللهو في تفسيره، فقال:"

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 16، ص 340.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص341.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15، ص308.

أن اللعب عمل أو قول في خفة وسرعة وطيش ليست له غاية مفيدة. بل غايته إراحة البال وتقصير الوقت واستجلاب العقول في ضعفها كعقل الصغير وعقل المتعب وأكثره عمل الصبيان. واللهو ما يشتغل به الانسان مما ترتاح إليه نفسه ولا يتعب في الاشتغال به عقله، فلا يطلق إلا على ما فيه استمتاع ولذة ملائمة للشهوة"[1] .

وعرف الراغب اللعب، فقال:" أصل الكلمة اللعاب وهو البزاق السائل. ولعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا.[2]". أما اللهو فعرفه بقوله: "ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه"[3]. وفرق ابن عاشور بين اللهو واللعب بقوله:" فقال:" ...ويجتمعان في العمل الذي فيه ملائمة ويقارنه شيء من الخفة والطيش، كالطرب، واللهو بالنساء، وينفرد اللعب في لعب الصبيان وينفرد اللهو في نحو الميسر والصيد."[4]. وذكر اللعب واللهو مجتمعين في ستة مواضع من القرآن الكريم، تقدم "اللعب" فيها على اللهو في أربعة مواضع، وهي:

- قوله تعالى: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ الأنعام32.

- وقوله: ﴿**وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا**).

- وقوله: ﴿**إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ** ﴾ محمد36.

- وقوله: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ**﴾ الحديد20. وتقدم اللهو على اللعب في موضعين هما:

- وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴾ الأعراف51.

- وقوله: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ العنكبوت64. وفي كل بيان يخلو اللعب واللهو من فائدة ترجى وحاجة تتحقق.

وتصور الألفاظ القرآنية الحالة النفسية وانفعالاتها وما يصحبها من ردة فعل، وهذا ما أكده عمر السلامي حين قال: "إن اللفظة القرآنية تعرض النفوس البشرية وتنطق بما في منعطفاتها النفسية وتشارك التصوير في مهمته إذ تحل محله لتؤدي مغزاها المحدد لها ولتكون وافية بحق الأهداف التي يرمي

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص194.

[2] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص741.

[3] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص748.

[4] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص193.

إليها القرآن"[1]. وهذا ما يبينه قوله تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ آل عمران14. فاللفظة القرآنية لها القدرة على تحريك مشاعر النفس والتأثير فيها فتجعلها طيعة منقادة، فبينت الآية تنوع متاع الحياة الدنيا من حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ...وكما تبين حقيقة لا مناص منها ألا وهي أن كل متاع الدنيا زائل وعند الله حسن المآب.

ويتجلى التمثيل بالحقيقة في التعبير عن المعنى المراد بألفاظ موحية ودقيقة تكشف عن نسق متناغم لعبارات تصور المعنى أبدع تصوير. فجاء تمثيل الحياة الدنيا في القرآن في أكثر من موضع وعلى أكثر من وجه، من ذلك قوله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ البقرة212، فتضمنت الآية كناية عن تمكن الحياة الدنيا من قلوبهم وسعيهم للفوز بها.

ولتكتمل دقة المعنى آوثر التعبير عن الدنيا بقوله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ آل عمران14. و"التزيين جعل الشيء زينا والزين شدة الحسن"[2]. أما "التزيين فهو تحسين الشيء المحتاج إلى تحسين وإزالة ما يعتريه من القبح أو التشويه، فالزينة هي ما تكون في الشيء من المحاسن التي ترغب الناظرين في اقتنائه"[3] .

وذكر ابن عاشور سر تعلق التزيين بحب الشهوات، فقال:" وتعليق التزيين بالحب جرى على خلاف مقتضى الظاهر لأن المزين للناس هو الشهوات، أي المشتهيات نفسها لا حبها فإذا زينت لهم أحبوها، فإن الحب ينشأ عن الاستحسان وليس الحب بمزين وهذا إيجاز يغني عن قوله زين للناس الشهوات فأحبوها.... والمراد إقبال النفس على ما في المزين من المستحسنات مع ستر ما فيه من الأضرار"[4]. فكل من اتبع هواه وشهواته إنما تعلق قلبه بها دونما إدراك لما سيلحقه من ضر وأذى.

وقد بين الله في هذه الآية ما تشتهيه النفس البشرية، فبدأ ببيان أصل الشهوات ألا وهي حب النساء. "فالميل إلى النساء مركوز في الطبع وضعه الله لحكمة بقاء النوع بداعي طلب التناسل، إذ المرأة موضع التناسل فجعل ميل الرجل إليها في الطبع حتى لا يحتاج بقاء النوع إلى تكلف ربما تعقبه سآمة"[5]. فحب النساء إنما كان لحكمة ربانية مفادها بقاء النوع البشري. وبعد أن ذكر الله أصل الشهوات تلاها ببيان

---

[1] عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن الكريم، ص94.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص294.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص294.

[4] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ص 180.

[5] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص181.

حب الإنسان وشغفه بالذهب والفضة، ولا يقنع بالقليل منها فقط بل يزداد طمعه ويطلب أكثر وهذا ما بينه قوله تعالى: (والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة). وهذا حال الإنسان الذي غفل قلبه عن حقيقة متاع الدنيا الفاني فهو في عمى.

وأما لفظ "**الخزي**" في قوله تعالى: ﴿ **فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ البقرة85. والمراد إقبال النفس على ما في المزين من المستحسنات مع ستر ما فيه من الأضرار"[1]، فكل من اتبع هواه وشهواته إنما تعلق قلبه بها دونما إدراك لما سيلحقه من ضر وأذى.

كما ساهمت لفظة "**اشتروا**" في قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ البقرة86. في بيان الحالة النفسية لمن ارتضى الحياة الدنيا وآثرها وسعى جاهدا طالبا إياها وكله رغبة في نوالها وتحقيق مراده منها، "فأخبر جل ثناؤه أن الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا وابتاعوا المآكل الخسيسة الرديئة فيها بالإيمان. وإنما وصفهم الله بأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة لأنهم رضوا بالدنيا بكفرهم بالله فيها عوضا من نعيم الآخرة الذي أعده الله للمؤمنين، فجعل حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمنا لما ابتاعوه من خسيس الدنيا"[2].

وجاء في التحرير والتنوير لابن عاشور تفصيل ذلك: في قوله "والاشتراء افتعال من الشري وفعله شرى الذي هو بمعنى باع، كما أن اشترى بمعنى ابتاع، وكلاهما مطاوع لفعله المجرد. وأشار أهل اللسان إلى أن فاعل هذه المطاوعة هو الذي قبل الفعل والتزمه، فدلوا بذلك على آخذ شيئا لرغبة فيه. ولما كان معنى البيع مقتضيا آخذين وباذلين كان كل منهما بائعا ومبتاعا باختلاف الاعتبار."[3] فقد بين ابن عاشروه في تفسيره بأن الاشتراء هنا إنما كان عن رغبة في إيثار بهجة الحياة وزينتها ودل على ذلك بقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ** ﴾ " أي باعوه وحسبك شاهدا على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ** ﴾ يوسف20. أما الذي اشتراه فهو فيه من الراغبين ألا ترى قوله لامرأته: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** ﴾ يوسف21[4]. وهذا ما يؤكده أبو حيان الأندلسي بقوله: "وجعل إيثارهم بهجة الحياة الدنيا وزينتها على النعيم السرمدي اشتراء، إيثارا للعاجل الفاني على الآجل الباقي، إذ المشتري ليس هو المؤثر لتحصيله، والثمن المبذول فيه مرغوب عنده ولا يفعل ذلك إلا مغبون الرأي فاسد العقل.[5] فكانت لفظة "اشتروا" مبينة مدى رغبة الانسان في نيل الدنيا وسعيه الجاد للفوز بها. وفي هذا دليل كاف لضلاله وفساد رأيه.

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص180.

[2] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ج 2، ص317.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص298.

[4] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص298.

[5] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص 473.

وكما صورت لفظة " **فرحوا**" الحالة النفسية لمن آثر الحياة الدنيا أيما تمثيل فكانت حاملة لدلالات السعادة والبهجة بما في الحياة الدنيا من نعيم ولكنه زائل لا محالة، فقال تعالى: ﴿**وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ** ﴾الرعد26. فكانوا فرحين بالحياة الدنيا، ولكن فرحهم ذلك منته وزائل وليس بدائم إذا ما قورن بالفرح بنعيم الآخرة السرمدي. وذكر ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية ب:" أن معنى "في" الظرفية المجازية هو المقايسة أي إذا نسبت أحوال الدنيا بأحوال الآخرة ظهر أن أحوال الدنيا متاع قليل" و"أما المتاع فهو ما يتمتع به وينقضي وتنكيره للتقليل"[1]. فالفرح الحق هو الفرح بنيل ثواب الآخرة. والفوز بالجنة وما عدا ذلك فهو زائل منقض غير باق.

وقد مثل القرآن الكريم انقضاء الحياة الدنيا وسرعة اضمحلال نعيمها بأبدع تصوير حين قال عز شأنه: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا** ﴾ الكهف45. فقال ابن عاشور في سياق تفسيره لهذه الآية:" شبهت حالة هذا العالم بما فيه بحالة الروضة تبقى زمانا بهجة خضرة ثم يصير نبتها بعد حين إلى اضمحلال. وهذا تشبيه معقول بمحسوس. لأن الحالة المشبهة معقولة إذا لم ير الناس بوادر تقلص بهجة الحياة. وقد شبهت هيئة إقبال نعيم الدنيا في الحياة مع الشباب والجدة وزخرف العيش لأهله، ثم تقلص ذلك وزوال نفعه ثم انقراضه أشتاتا بهيئة إقبال الغيث منبت الزرع ونشأته عنه ونضارته ووفرته ثم أخذه في الانتقاص وانعدام التمتع به ثم تطايره أشتاتا في الهواء.»[2]، فالتمتع بالحياة الدنيا ما يكون إلا مدة قصيرة ثم يزول كل ذلك.

7. خاتمة

- حظيت الحياة الدنيا في القرآن الكريم بتصوير بديع لخص حقيقتها وكشف سرها وأبان سبل النجاة من التعلق بها والسعي إليها، فتنوعت صورها، فتارة وصفت بأنها لعب ولهو منقض تأكيدا لسرعة انقضائها. ووصفت بأنها متاع الغرور وأنها زائلة. ومرة أخرى كان المال والبنون زينتها ومتاعها. وكان نصيب كل من اتبعها وسعى جاهدا لنيلها الخزي والصغار في الدارين.

- اشتمل تمثيل الحياة الدنيا في القرآن الكريم على كثير من الأسرار. منها: قوة التأثير، وإبراز المعقول في صورة مجسمة، الإيجاز، والإيضاح، إصابة المعنى بدقة بالغة، تقريب المراد للعقل وعرضه في صورة موجزة مشوقة وغير مخلة بالمعنى.

- إن دقة التصوير لحقيقة الحياة الدنيا وسرعة زوالها وفنائها، كان لها بالغ الأثر في العقل والنفس معا.

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 577.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص332.

- من خصائص تمثيل الحياة الدنيا في القرآن الكريم تماسك الصور التمثيلية تماسكا شديدا، فتعددت صورها وتنوعت، وقد لخصت كثيرا من المعاني التي فصلت حقيقة الحياة الدنيا، وكيف عميت أبصار وبصائر كل من اتبع شهوته وسعى جاهدا للفوز بها، فتنوعت أوصافها وتباينت وقد تم اختيارها اختيارا مناسبا للمعنى معطيا كل ما تطلبه المقام.

- تعددت صور الحياة الدنيا في القرآن الكريم من تصوير لحالها وزينتها وسعي الناس لنيلها والفوز بها. وكيف يضمحل نعيمها ومتاعها بسرعة فائقة. وكما مثل لنضرتها وجمالها بلفظة "الزهرة" التي دلت على زوال الدنيا وسرعة انقضائها.

8. قائمة المراجع:

- القرآن الكريم رواية حفص.
- بن جعفر، قدامة، (1307هـ)، نقد النثر، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية.
- العسكري، أبو هلال، (1999م)، الصناعتين، القاهرة، المكتبة العنصرية.
- القيرواني، ابن رشيق، (1307هـ)، العمدة، القاهرة.
- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، (1976م)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مصر، دار المعارف.
- الجرجاني، عبد القاهر، (1431هـ)، أسرار البلاغة، القاهرة، دار المدني.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (1407هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الزركشي، (1957م)، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربي.
- الافريقي، ابن منظور، (1414هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر.
- ابن فارس، أحمد، (1979م)، مقايس اللغة، بيروت، دار الفكر.
- العسكري، أبو هلال، (1431هـ)، الفروق اللغوية، القاهرة، دار العلم.
- قطب، سيد، (2000م)، التصوير الفني في القرآن، بيروت، دار ثروت.
- عبد العال، محمد قطب، (2006م)، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- السكاكي، محمد بن علي، (1987م)، مفتاح العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية.
- شيخون، محمود السيد، (1981م)، نظرات في التمثيل البلاغي، منشورات مكتبة الكليات الأزهري.
- ابن القيم، (1981م)، الأمثال في القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة.
- الرافعي، مصطفى صادق، (1393هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت، دار الكتاب العربي.

- الجاحظ، أبوعثمان، (2008)، البيان والتبيين، بيروت، المكتبة العصرية.
- السلامي، عمر، (1980)، الإعجاز الفني في القرآن، تونس، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.
- بكري، شيخ أمين، (1973)، التعبير الفني في القرآن، بيروت، دار الشروق.
- الراغب، الأصفهاني، (1412)، المفردات في غريب القرآن، بيروت، دار القلم.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (2000)، التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي.
- الطبري، أبو جعفر، (1415هـ)، جامع البيان، بيروت، دار الفكر.
- الأندلسي، أبو حيان، (1420هـ)، البحر المحيط، بيروت، دار الفكر.

Bibliography List

- The Holy Quran, Hafs narration.
- Ibn Jaafar, Qudama, (1307 AH), "Critique of Prose," Cairo, Al-Azhar College Library.
- Al-Askari, Abu Hilal, (1999 CE), "Industries," Cairo, Al-Ansariya Library.
- Al-Qayrawani, Ibn Rashiq, (1307 AH), "Al-Umdah," Cairo.
- Al-Ramani, Al-Khattabi and Abdul Qahir Al-Jurjani, (1976 CE), "Three Essays on the Inimitability of the Quran," Egypt, Dar Al-Ma'arif.
- Al-Jurjani, Abdul Qahir, (1431 AH), "The Secrets of Eloquence," Cairo, Dar Al-Madani.
- Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Umar, (1407 AH), "Al-Kashaf on the Realities of the Mysteries of Revelation," Beirut, Dar Al-Kutub Al-Arabi.
- Al-Zurqani, (1957 CE), "Al-Burhan in the Sciences of the Quran," Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabi.
- Al-Afriqi, Ibn Manzur, (1414 AH), "Lisan Al-Arab," Beirut, Dar Sader.
- Ibn Fares, Ahmed, (1979 CE), "Muqayyis Al-Lughah," Beirut, Dar Al-Fikr.
- Al-Askari, Abu Hilal, (1431 AH), "Linguistic Differences," Cairo, Dar Al-Ilm.
- Qutb, Sayyid, (2000 CE), "Artistic Depiction in the Quran," Beirut, Dar Tharwat.
- Abdel Aal, Muhammad Qutb, (2006 CE), "Aesthetics of Depiction in the Quran," Cairo, Egyptian General Authority for Books.
- Al-Sakkaki, Muhammad bin Ali, (1987), "Key to the Sciences," Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Sheikhoun, Mahmoud El-Sayed, (1981), "Perspectives on Rhetorical Representation," Publications of the Azhari Colleges Library.
- Ibn Al-Qayyim, (1981), "Proverbs in the Quran," Beirut, Dar Al-Ma'arif.
- Al-Rafie, Mustafa Sadiq, (1393 AH), "The Miraculous Nature of the Quran and Prophetic Eloquence," Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi.
- Al-Jahiz, Abu Uthman, (2008), "Exposition and Clarification," Beirut, Al-Maktaba Al-Asriyya.

- Al-Salami, Omar, (1980), "Artistic Miracles in the Quran," Tunis, Abdul Karim bin Abdullah Institutions.
- Bakri, Sheikh Amin, (1973), "Artistic Expression in the Quran," Beirut, Dar Al-Shorouk.
- Al-Raghib, Al-Asfahani, (1412), "Vocabulary in the Strangeness of the Quran," Beirut, Dar Al-Qalam.
- Ibn Ashur, Muhammad Al-Tahir, (2000),"Liberation and Enlightenment," Beirut, Arab History Foundation.
- Al-Tabari, Abu Jafar, (1415 AH), 'Collection of Statements," Beirut, Dar Al-Fikr.
- Al-Andalusi, Abu Hayyan, (1420 AH), "The Vast Ocean," Beirut, Dar Al-Fik.